

الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

يصدرها

مركز الوثائق التاريخية

بإدارة البحرين

العدد الثاني عشر، السنة السادسة
جمادى الأولى ١٤٠٨هـ - يناير ١٩٨٨م



الصراع الدولي حول الخليج

قراءة في الوثائق الهولندية الملائسة حديثاً

بأرشفة التراث الديني
بقلم : احمد جلال التدمري

واجه الخليج العربي منذ القدم هجمات أجنبية وأطماعاً دولية للسيطرة عليه واقتناص ثرواته، ولاتخاذ معبراً للتجارة بين الشرق والغرب. وبعد أن كان الخليج أشبه بالبحيرة العربية تقطن سواحله شرقياً وغربياً القبائل العربية المعروفة بأصالتها وبعراقتها، انتشرت على شواطئه الشرقية وبعض جزره المراكز الأجنبية من برتغالية وإنجليزية وهولندية وفارسية. حتى كانت حملات التحرير العربية التي أجلت البرتغاليين وواجهت الفرس والإنجليز والهولنديين.

إن البحث عن الوثائق والمعلومات التاريخية المسندة يبقى هاجسا دائما يراود كل باحث ودارس في هذا الميدان، لربط الأحداث والكشف عن الحقائق والتوثيق من الروايات التي جلتها ذات مصادر أجنبية.

وخلال البحث والتنقيب عن الوثائق التاريخية ذات الصلة بخليجنا العربي، ويتعاون من الجهات الأرشيفية الرسمية عثرت على عدد من الوثائق الهولندية التي كانت مجهولة. ونظرا لأهميتها التاريخية وجدت من واجبي كباحث أن أضمنها هذه الدراسة.

ودراستي هذه بمثابة المطالعة للوثائق التاريخية عن مرحلة حساسة من تاريخنا تشمل فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ومن ثم الربط بينها في نسيج يوضح حقيقة الوقائع ومسيرة الأحداث لتعكس في النهاية صورة عن الماضي القريب والبعيد الذي لا زالت مؤثراته وذبوله ممتدة الى واقعنا الحاضر وربما الى المستقبل المعاش قريبا وبعيده.

القوة البحرية في الخليج العربي

شغل القواسم منذ مطلع القرن السابع عشر زعامة البحر وقيادة السفن الحربية إبان عهد الدولة اليعربية. إضافة إلى أن سفنهم التجارية كانت تجوب الخليج وشواطئ شرق إفريقيا وموانئ الهند، والبحر الأحمر. وفي أواخر عهد اليعاربة برز

القواسم ومن خلفهم قبائل الساحل كأبطال نضال ضد المستعمرين وكزعماء في الساحل الشرقي والغربي وجزر^(١) الخليج العربي ومن خلال زعامتهم القبلية التي انقردوا بها في الساحل الشرقي للخليج منطقة بندر لنجة وجزيرة قشم وما جاورها وساحل الشميلية على الشاطئ الشرقي للإمارات المطل على خليج عمان والتي ازدهرت فيها مدن دبا وكلبا وخورفكان... وكذلك الشاطئ الغربي للإمارات مثل مدن رأس الخيمة والشارقة، كان للقواسم دور مشهود في مقارعة الغزاة ودحر المحتلين.

أطلق أسم الهولي على القبائل العربية التي تقطن الساحل الشرقي للخليج العربي ومعظمها من قبائل آل سميح والعتوب والدواسر والمرازيق وآل بوعلي والمطاريش في بوشهر والزعاب في بندر ريق، إضافة الى القواسم الذين تركز وجودهم في جزيرة قشم وبندر لنجة ولاراك وما جاورها. إلى جانب وجودهم في مدن الساحل الغربي للخليج.

لقد كان التماسك العربي في حوض الخليج العربي شرقيه وغربيه قويا في مقارعة الاحتلال البرتغالي وفي التماسك بين القبائل العربية على كلتا الضفتين وفي المناطق الداخلية لعمان مما أضاف لدولة اليعاربة قوة مكنتها من إنجاز الكثير من المهام التحريرية. ففي عام ١٦٢٠ تمكن العرب بالتعاون مع الفرس من طرد البرتغاليين من

موقع احتلوه على الساحل الغربي للخليج قرب جلفار - رأس الخيمة^(٣) إلا أن الفرس هادنوا بعد ذلك البرتغاليين وعقدوا معهم في عام ١٦٢٥ إتفاقية صلح اعترف فيها البرتغاليون بانتقال هرمز وقشم إلى الشاه عباس مقابل حصولهم على نصف العوائد الجمركية في كنج بالقرب من لنجة. وهكذا ساءت العلاقات العربية الفارسية بسبب مهادنة الفرس للبرتغاليين وخاصة أن البرتغاليين كانوا لا يزالون يحتفظون بقوات لهم في برج حصين قرب جلفار، مما جعل هذا التحالف ينقلب إلى احتلال فارسي لحصن الصير واحتلال برتغالي لحصن آخر بالقرب من جلفار، إضافة إلى وجود سفن حربية برتغالية في ميناء جلفار. وهكذا كان لزاماً على القوات العربية في عهد الامام ناصر بن مرشد أن تتوجه لتحرير هذه المواقع من المحتلين^(٣) حيث وقعت معارك عنيفة في مواجهة القوات الفارسية والبرتغالية. ورغم التمرکز القوي والمحصن للقوات الفارسية والبرتغالية فقد تمكنت القوات اليعربية بقيادة/ علي بن احمد من تحرير حصن الصير بعد معارك رهيبه سارع خلالها البرتغاليون بإمداد الفرس بالأسلحة والسفن إضافة إلى إطلاقهم نيران مدافعهم على القوات العربية المحاصرة للحصن. تدعيماً من البرتغاليين للفرس، وكادوا بهذا الدعم أن يحولوا بين العرب وبين تحرير

الحصن، إلا أن شجاعة القوات العربية وتصميم قائدها على النصر أو الموت أدى إلى تمكنه من الاستيلاء على الحصن وطرد المحتلين منه^(٤). وبإحراز القوات العربية اليعربية لذلك النصر في تلك المعركة تمكنت من حصر النفوذ البرتغالي داخل القلعة التي تقوقعوا فيها حيث أجبروا فيما بعد وإثر معارك ضدهم على الاستسلام للقوات العربية وطلب الأمان.

إن روح العرب العمانيين العالية وتصميمهم على النصر واسترداد الحقوق والذود عن حياض الأرض والمياه العربية جعلتهم يتبواون مكانة عالية في المنطقة وبلغت القوة البحرية العربية بالذات في عهد الامام سيف بن سلطان اليعربي أقصى قوة لها فأخذ بمقاتلة القوى المعادية... البرتغاليين في المحيط الهندي والفرس في مياه الخليج العربي^(٥). فقد تحركت قوة بحرية عربية قوامها ألف وخمسمائة مقاتل لمهاجمة منطقة كنج الخاضعة للفرس القريبة من بندر لنجة العربي على الشاطئ الشرقي للخليج العربي وقضت هذه القوة على قوات الفرس واستولت على الكثير من الثروات وكبدتهم خسائر فادحة، مما أدى بالفرس إلى طلب العون من الوكالات الانجليزية لوقف أو إعاقة القوات العربية من التقدم نحو فارس ومن ثم لمهاجمة مسقط. وكان الهولنديون أيضاً على استعداد لتقديم

بحارة العرب في أسطول نادر شاه

يرفضون محاربة اخوانهم على الساطىء العربىء

وفي عام ١٧٠٧ قام الاسطول العربىء بأسر عدد من السفن والقوارب الفارسية، وفي عام ١٧٢٠ استولى الاسطول على عدة جزر من أهمها جزيرة قشم، وقد أغضب ذلك الفرس فأرسلوا جيشا يقوده/ علي خان/ الى بندر عباس لاستعادة هذه الجزر، لكن غزو الافغانيين لبلاد فارس أرغم هذه القوة على التراجع نحو كرمان دون أن تحقق شيئا من مهمتها^(٨).

لم تكن للفرس قوة بحرية خاصة منهم، لذلك حاولوا لتحقيق اهدافهم الاستعانة بالبرتغاليين والانجليز والهولنديين والفرنسيين، ليحاربوا بدلا منهم^(٩). وباعتبار أن سكان الخليج العربىء على شاطئه الشرقى والغربىء معظمهم من العرب وان القبائل الفارسية موطنها البلاد الداخلية والجباليء. لذلك لجأ نادر شاه ملك الفرس الى العرب عندما قرر إعداد اسطول حربىء ليواجه به البرتغاليين. فجدد منهم بحارة ونواخذة لذلك الاسطول. لكنه لم يستطع استغلالهم وتوجيههم لمحاربة

المساعدة للفرس مقابل أن تقدم السلطات الفارسية لهم تسهيلات تجارية، إلا أن الفرس تراجعوا عن فكرة مهاجمة مسقط^(١٠) لتقديرهم بأن الهجوم لن تكون نتائجه فى صالحهم. واستمرت بعد ذلك محاولات تكوين جبهة فارسية برتغالية ضد التفوق البحرىء العربىء فى أواخر القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٩٦ وصلت الانباء الى الامام سيف بأن هناك اتفاقا بين الفرس والبرتغاليين لمهاجمة مسقط. ولهذا بادر الامام بشن هجوم مفاجىء على أكبر المراكز البرتغالية فى منطقة مانجالور ففضى بذلك على محاولتهم فى مهدها ومنع الحليفين من بلوغ أهدافهما^(١١).

وإثر هذه المعركة ينس الفرس من الدعم البرتغالىء فتوجهوا الى القوى البحرية الجديدة فى الخليج وهى الانجليزية والهولندية يطلبون مساعدتها ضد اليعاربة. الا أن الانجليز وقفوا على الحياد فى الصراع العربىء الفارسى نظرا لعدم تعرض قوات الامام سيف للتجارة والسفن الانجليزية.

اشقائهم العرب في مسقط والساحل العماني. فإن شعورهم القومي وإنتماءهم العربي جعلهم يرفضون محاربة أبناء جلدتهم رغم السيطرة الفارسية عليهم وعلى بلدانهم ورغم عملهم تحت راية ذلك الاسطول. لذلك شهدت حملات الاسطول الفارسي ضد العرب عصيانا من البحارة العرب وتمردا عنيفا كثيرا ما أدى الى إيقاع ضربات بذلك الاسطول وبالبحرية الفارسية مما جعلها تخفق كثيرا في هجماتها على السواحل والموانئ والجزر العربية.

وذكرت وثيقة هولندية اكتشفت حديثا تناولت معلومات دونها المعتمد الهولندي في بندر عباس في ١٠/٨/١٧٣٨ انه :- وردت أنباء من جيش الشاه في الجانب الغربي العربي للخليج حول الانتصارات على الفرس، مثل طرد العرب للفرس من مسقط ووضعهم تحت الحصار في جلفار برا وبحرا مع بحريتهم. لهذا السبب فإن حركة التنقل للفرس قد أغلقت، كما أن سفن الشاه قد حوصرت. وبمعركة بحرية أحرق بعضها على الشاطئ. ومن السفن الفارسية التي انحرفت الى الشاطئ السفينة الكبيرة/فالتى شاه/بينما هوجمت أيضا سفينة بريطانية ضخمة كانت قد أجرت إلى الفرس. وكانت حتى ذلك الوقت لا زالت في ميناء جلفار وقد أسرقائدها واثنان من بحارتها (١٠).

وكان من نتائج حملات نادر شاه على عمان لاحتلال مسقط تمرد البحارة العرب في الاسطول الفارسي، وقيامهم بقتل القائد الفارسي/علي خان/ في مسقط، واستولوا على عدد من قطع الاسطول الفارسي وهاجموا مدينة باسيديو في جزيرة قشم ثم توجهوا نحو خورفكان طلبا لحماية الحاكم القاسمي.

وكانت ردة الفعل قاسية على نادر شاه فطلب النجدة من الهولنديين والانجليز الذين أمدهم بسفینتين حربيتين هولنديتين وحوالي عشرين سفينة من نوع الغراب، وتوجهت هذه القوة مع سفن اخرى اعددها تقى خان القائد الفارسي نحو رأس الخيمة وخورفكان لمقاتلة القواسم. وفي ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٧٤٠ التقت قوات تقى خان بالاسطول القاسمي فكانت الغلبة للقواسم مما اضطر الحملة الفارسية الهولندية الى الانسحاب لجزيرة قشم فلحقها الاسطول القاسمي وأجبرها على الهرب الى ميناء كينج الفارسي. وعاد بعدها الاسطول القاسمي الى قواعده سالما (١١).

ولكن ذلك لم يترك لنادر شاه أن ييأس، فأخذ يتابع تحرك السفن العربية وعين قائدا بحريا جديدا هو السردار/فردي خان الذي تحرك الى جزيرة قيس عندما علم بأن البحارة العرب المتمردین على الاسطول الفارسي السابق ينزلون فيها.

واصطحب معه سفينتين هولنديتين كان قد احتجزهما في بندر عباس. وبوصول القائد الفارسي الى جزيرة قيس ومعه قواته واسطوله التحم في قتال شديد مع البحارة العرب أصيب خلاله السردار بجرح قاتل مات على إثره وتراجع اسطوله خاسرا إلى بندر عباس.

وقد أدت الخسائر المتواصلة لاسطول نادر شاه والفشل الذي مني به الى تخلي نادر شاه عن إنشاء قوة بحرية فارسية في منطقة الخليج العربي. ولم يكن ذلك مفاجأة للقوة الاجنبية في الخليج فقد تنبأ بذلك الفشل وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس حين قال : - [إننا نعتقد بأن مشروع نادر شاه في تأسيس الاسطول الفارسي غير ناجح. وان نجاح الاسطول الفارسي سيتوقف على تعاون العرب مع الفرس، أما الفرس فإنهم بطبيعتهم يكرهون ركوب السفن].^(١٢) ويقول السير بيرسي المهتم بالشئون الفارسية مؤكداً جهل الفرس بشئون البحر وعلل هذه الظاهرة تعليلاً جغرافياً. إذ لاحظ أن السواحل الشرقية للخليج العربي مفصولة عن الداخل بسلسلة من الجبال الشاهقة^(١٣) يقطن خلفها الفرس، في حين كان معظم القاطنين على الساحل الشرقي للخليج من العرب.

ورغم محاولات نادر شاه وغيره من ملوك الفرس القضاء على الوجود

العربي على الشاطئ الشرقي للخليج باحلال القبائل الفارسية مكانهم فإن هذه السياسة لم تنجح تماماً فقد بقي للعرب وجود.

لم يوهن التحالف العدواني الانجليزي الهولندي الفارسي من عزيمة العرب، بل زادهم تصميمًا على التضحية والفداء. ويقول جان جاك بيربي في وصف أعمالهم الفدائية : - (واخذوا يقومون بأعمالهم تلك وهم مرتاحو الضمير، لانهم إنما يفعلونها لتحرير بلادهم.) ويقول مالكولم : - (ولو كنت أسيراً لديهم وقدمت لهم كل ما تملك مقابل حياتك، لرفضوا ذلك بإباء وشمم.. وقالوا : - إننا لا نسرق الأحياء.^(١٤))

شكل تحرير مدينة جلفار في عام ١٦٢١ من الاحتلال الفارسي والبرتغالي نصراً مؤزراً للدولة اليعربية. وقد كان ذلك الجيش العربي مسنداً بالقواسم الذين شاركوا في تلك المعركة، وقد برز في ذلك الزعيم القاسمي - كايد بن عدوان - الذي شارك في القتال^(١٥) ثم برز القائد القاسمي رحمة بن مطر خلال معركة المصنعة أو معركة بركا في عام ١٧٢٢. وكان قد وطد ملكه في رأس الخيمة في موقع المعيرض أحد أحياء مدينة رأس الخيمة اليوم. ثم توسع في إمارته حتى شملت خورفكان^(١٦)

ويذكر أيضاً أن قوة يعربية اتجهت في عام ١٧١٦ الى جزيرة قشم وفي

طريقها توحدت مع قوات قاسمية أرسلها الشيخ رحمة بن مطر من بلدة الصير - رأس الخيمة - بهدف السيطرة على الجزيرة وتحريرها من الاحتلال الفارسي، حيث أن سكان الجزيرة من القبائل العربية من بني معين وغيرهم... وقد تمكنت القوات اليعربية القاسمية من النزول في الجزيرة والسيطرة عليها، وأسس القواسم فيها محطة تجارية^(١٧) ثم حاولت هذه القوات العربية السيطرة على هرمز، إلا أنها لم تنجح، فتركتها واتجهت لتجهيز نفسها والاستعداد لمهاجمة البحرين.

وبقيادة سلطان بن سيف الثاني توجهت قوات الدولة اليعربية والقواسم في صيف عام ١٧١٧ نحو البحرين لتخليصها من الاحتلال الفارسي. وبعد قتال طويل وعنيف بين الطرفين تكبدوا فيه خسائر فادحة في الأرواح والمعدات هرب القائد الفارسي من البحرين إلى فارس. فدخلها الأمام سلطان بن سيف بقواته ومعه مراكب الغواصين البحرينيين، وأعاد هناك بناء قلعة عراد الشهيرة^(١٨)

ويذكر أنه في عام ١٧٢٤ تولى الشيخ رحمة بن مطر زعامة القواسم بعد وفاة أبيه وسجل مطر بطولة مشهودة في حملة بحرية غادرت في عام ١٧٢٦ رأس الخيمة لاستعادة جزيرة قشم فنزلت القوات القاسمية في ميناء باسيدو مما أثار مخاوف شركة الهند الشرقية البريطانية التي أرسلت

وحدات بحرية مكونة من السفينة (بريطانيا(BRITANNIA)) والسفينة (بنغال (BANGAL)) وسفن أخرى أخف منها للحراسة. وبعد معارك شديدة انسحب القواسم إلى الصير في رأس الخيمة، وأرسل الانجليز وفدا إلى الشيخ مطر ليفاوضه بدفع تعويضات عن الخسائر البريطانية بسبب تلك العملية. وعلى ما يذكر بأن تلك الحادثة هي أول صدام مسلح مباشر بين الانجليز والقواسم^(١٩)

وكما هو معهود من الحماية العربية عند دولة اليعاربة والقبائل العربية في الخليج العربي والتي شهد لها التاريخ بطولاتها عندما طاردت قوات اليعاربة البرتغاليين من سواحل أفريقيا الشرقية، فأجلتهم عن زنجبار وممباسة في سنة ١٦٦٢ فعاشت تلك البلاد في استقرار وازدهار إلى أن امتد التسلط البريطاني في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر إلى شرق أفريقيا. مما دعا زعماء تلك البلاد إلى الاستنجاد بسليل زعماء البحار في الخليج وبحر العرب الشيخ سلطان بن صقر القاسمي فكتبوا^(٢٠) يستنجدونه على المستعمرين الانجليز الذين حلوا ببلادهم على العباد والبلاد في تلك البقاع. ومما جاء في رسالتهم إلى الشيخ سلطان : - «الموصوف بأقل صفاته. المعروف برشح صفاته سلطان بن صقر القاسمي حرسه الله في حياته من فضيحة وفقر، وفي آخرته عن السعير

وصقر.. ومراد الورقة السلام عليكم وايصال اخبارنا إليكم وتذكير طاعتنا وشوقنا لديكم، أقول لك يا أمير المؤمنين متع الله بحياتكم المسلمين وأيد الله بك الدين ونصر بجنك المجاهدين فإن ملوك أهل الاسلام ضيعوا الشريعة، ولينوا أركانها المنيعة، ونادوا سلاطين الكفار، واستمدوا على أهل الأمصار حتى أنزلوا القرين في عدن سمية الجنة وأقدم مسكن. أحلهم الله دهر البوار وانتقم منهم بعذاب النار وذلك من الرعب المقذوف في قلوبهم، وهذا من جملة عيوبهم والواجب عليكم تقويمهم، لاقامة الحنيفية وإظهارها ولذب رافضيتها عنها وإشهارها ونحن أهل بادية وأصحاب ماشية. لكننا أولو قوة وأولو بأس شديد وأصحاب جرد ومرد وعد عديد لكننا نأوون عن الساحل لا نصله إلا بشق الأنفس والرواحل. لكن بحمد الله قد طلع من الساحل نجم ثاقب وأسد رابض راقب، لزم وألزم التوحيد ونفى الشرك والتنديد وهو السلطان الصالح الناصح الحاج العاقل فارح. سلمه الله وحياه وحرسه وهداه وبياه، فصار واسطة بين الطرفين ومأوى لكلا الفريقين. وقد بحث هو وسلاطين المسلمين بالاستخبار وساس قوانينهم باعتبار. فتحصل له من مناقب ما أسر خواطره، وحرك مشاعره ولبثاقه مع محمد بن سالم بن علي، عليه رحمة ربه العلي عن المنكر وذكرهم بهول القيامة

والمحشر وأطع الله وأطع الرسول. إذ كل راع عن رعيته مسئول، وجاهد الكفار والمنافقين وأقم الحدود على الكافرين والزناة والسارقين فلا يجوز لك أن تهادن الكفار فوق أربعة أشهر، ووجب علينا إتباع الأمير الموحد المجاهد الامر الناهي القائم المساعد ونحن معدودون من رعيته ومستريحون بمعيتك فساعدنا بيدك ولسانك، لقوله صلى الله عليه وسلم (المؤمنون يد واحدة على من سواهم، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً). ونحن، محتاجون إلى مدد وحتى كلامك يكفيننا إذا أمرت السواعي المسافرة إلينا، أن يقوموا معنا ويجاهدوا في سبيل الله، بحيث إذا جاءوا عندنا ما يخالف أحد من الصومال لأنهم يهابون إذا سمعوا أن السلطان ابن صقر قائم للجهاد فيهابون ويقولون كلهم نحن من رعيته هذه السواعي المسافرة تكفيننا بحول الله وقوته وما ترى أن شاء الله إلا وهم داخلون تحت طاعته في سنة واحدة. ولا يضر هذا البعد الذي بيننا لأن السواعي مقربة تحمل إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. واضافت الرسالة :-

فاجتهد في ضم ملك الصومال الى ملكك فان الملكة سعادة لمن أدى حقها شقاوة لمن طغى وأثر الحياة الدنيا. فيجب عليك أن تعاوننا باليد واللسان ويجب علينا السمع والطاعة.. فيجب عليك أن تمدنا برجال وأموال.

وتساعدنا بسواعي وأقوال، لأنك اذا أمرت السواعي المسافرة، والرجال المسافرة بالتناقيق والسفن ويحاربون معنا، الكلاب والكفار والعفن.

فنسأل لك بوجه الله الذي لا يجوز رد السائلين به أن تساعدنا وتمدنا بالاعانة الواجبة عليك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما معناه (ان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) ويجب علينا السمع والطاعة، وعلى الله نصر المؤمنين فإله... الله لا تتساهل في كلامنا هذا فإنه مجلب الظفر ومعلم النصر ومكسب الاجر وتوكلوا على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

«ان الله بالغ امره، انا لننصر رسلنا والذين آمنوا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، أن الله قوى عزيز وكان حقا علينا نصر المؤمنين، أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والغالبون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين، وما يعلم جنود ربك الا هو.»

وقد نزلت من البادية البعدي، الى قرى الساحل القربي، عند الحاج الافخر، والسلطان الأعز فارح حرسى. وأنا منتظر منك سعده الى الفتوح والأمر كله لله واليه يرجع الأمر كله. وجيوش البادية علينا، ولو تبغى ثلاثين ألف خيال لكن ما لنا قوة في البحر غير الحاج فارح. لكن أصحابه وبنو أعمامه لا يقومون للحق ويحسدون عليه، واذا جاءت سواعي منكم

وذكروا أنك قائم معنا يهتابون ولا يتكلمون بكلمة، ولا يقدررون أن يخالفوننا، فان لم تقدر ترسل لنا سعده مستعدة، فإله الله، قل للمسافرين الجائين من أراضهم، أرسلنا السلطان صقر لنجاهد الكفار الذين في أرض الصومال مع الحاج علي والحاج فارح، فان ذلك ينفعنا نفعاً جماً، وان لك فيه اجرا لما. فأعينونا بقوة حتى نجاهد الصومال وندخلهم في الاسلام والايمان باذن الله الرحمن، ونملك فيهم بعون الله الملك المعبود لما سمعنا فيك من الخصال الحميدة والمناقب العديدة والفضائل السعيدة، والفاضل المفيدة فأحببنا أن نكون لك عساكر مجاهدين وفوارس مساعدين.»

وذكرت المصادر التاريخية أن الشيخ سلطان بادر الى مدير العون والمساعدة ولم يتأخر عن تلبية نداء إخوانه في الدين في الصومال فأرسل لهم ما يمكن إرساله من الرجال والسفن (٢١)

التجارة واجهة للغزو:

اعتمدت هولندا وانجلترا في دخولهما إلى البحار الشرقية ومنطقة الخليج العربي على أسلوب تشكيل شركات تجارية خاصة أو مشتركة مع السلطات الحكومية في موطنها. حتى يكون تعاملها مع تلك البقاع مقبولا ومرحبا به من الأهالي ومن زعماء تلك البلاد. في حين فشلت الاساطيل الحربية الغازية التي قصدت احتلال

الشرق ويسيطرون على تلك البلاد وعلى الطرق الموصلة إليها.

وفي ١٦٠٠/١٠/٣ أسس مجموعة من التجار الانجليز شركة خاصة للتجار مع الشرق مباشرة لاستيراد التوابل والحرير والعقاقير والعطور واللؤلؤ والمجوهرات مقابل تصدير البضائع الانجليزية من المنسوجات القطنية والنحاس والقصدير. واختاروا أسما لها هو (محافظ وشركة تجار لندن الذين يتاجرون مع الهند الشرقية) تحول فيما بعد الى / شركة الهند الشرقية^(٢٤). واتخذت هذه الشركة شكلا رسميا إثر إصدار الملكة اليزابيث الأولى مرسوما يمنحها الحق المطلق في احتكار التعامل التجاري مع الشرق.

وبذلك اقتحمت هذه الشركة أبواب الهند ومن ثم بلاد فارس ومنطقة الخليج العربي حيث اكتسبت مكانة وقوة بما لقيته من دعم عسكري ورسمي بريطاني جعلها تتحكم في المنطقة وأدت الى دخول الاستعمار البريطاني إلى معظم مناطق شرق السويس. مستعينة بالتحركات السياسية والصلوات الدبلوماسية ومن ذلك ما عرضه مبعوث الملك جيمس على الشاه عباس في عام ١٦١٧ لإنشاء مؤسسات تجارية إنجليزية في فارس مقابل تعهد بريطانيا بالوقوف عسكريا الى جانب فارس إذا تعرضت لغزو أجنبي^(٢٥).

بلدان أو جزر بالقوة ومن ثم تسيير مصالحها التجارية كما فعل البرتغاليون.

لهذا استطاع الانجليز والهولنديون التسلل إلى منطقة الخليج وغيرها من البلاد الواقعة شرقي افريقيا. رغم أنهم وفروا لسفنهم التجارية ولقار وكالاتهم الحماية العسكرية. مما حولهم فيما بعد إلى مستعمرين ومحتلين لبعض تلك المناطق.

وكمثال على ما تقدم سبق لتاجر انجليزي يدعى / ريتشارد شان Richard Chan أن أسس في عام ١٥٥٥ شركة تحت اسم (شركة روسيا)^(٢٦) إثر رحلته البرية الى روسيا في عام ١٥٥٣ ومن ثم رحلة لبعثة شركته الى بلاد فارس برئاسة انتوني جانكسون. للحصول على الحرير الفارسي وكان ذلك في عام ١٥٦١.

وكذلك رحلة التاجر الانجليزي / نيوبري New Beria في عام ١٥٨٠ عبر بلاد الشام والتي اعقبتها رحلة أخرى رافقه فيها عدد من التجار الانجليز مثل / رالف فينش ووليام ديداز وجيمس سنوري. وقد أثمرت هذه الرحلات قيام معاملات تجارية مفيدة. وفي حين كان التجار الهولنديون يقومون بدور تجار التجزئة بشرائهم البضائع الشرقية من لشبونة وبيعها في الدول الأوروبية الأخرى^(٢٧)، كان البرتغاليون يحتكرون التجارة مع

وإثر بدء انحسار التسلط البرتغالي عن منطقة الخليج العربي أخذ الهولنديون والانجليز في التقدم للحلول مكان البرتغال في المنطقة. مخالفين بذلك الامر البابوي (٢٦) الذي منح ممتلكات الشرق للبرتغاليين وممتلكات الغرب للأسبان. وهما الدولتان الأكبر سطوة واتساعا في اكتشافاتهما البحرية وتجارتها الخارجية.

وبينما كان التجار في البلاد الواطئة يتعاملون مع التجار البرتغاليين في لشبونة كتجار تجزئة فيقومون بتصرف بضائعهم في البلاد الواطئة والبلاد الأوروبية الأخرى، وكنتيجة لما واجهوه من مضايقات في تجارتهم مع البرتغاليين إضافة إلى ضعف التسلط البرتغالي اتجهوا للتعامل مباشرة مع بلاد الشرق.

ففي عام ١٥٩٢ عقد كبار التجار الهولنديين اجتماعا في أمستردام قرروا فيه انشاء شركة للتجارة مع الهند ونظرا للسرية المطلقة التي فرضها البرتغاليون على الطريق إلى الهند. انتدبت الهيئة التجارية الهولندية عنها المستر/ كورنيليوس دي هوتمان إلى لشبونة لجمع المعلومات حول التجارة البرتغالية مع الهند. كما استطاعت الشركة الهولندية الحصول على المعلومات المطلوبة من الأسقف الهولندي/ هيوبن فان لينشوتن Hubhen Van Linschoten (٢٧) وقد عاد في عام ١٥٩٢ من رحلة إلى الهند كأمين سر

لكبير اساقفة جوا البرتغالي الذي كان يعرف نقاط القوة والضعف في تعامل البرتغاليين مع بلاد الشرق ونشر بعد عودته اسرار الطريق إلى الهند، وقد ضمت هذه المعلومات نتائج أبحاثه ودراساته مع ملحق خاص أوضح فيه المعلومات البحرية عن حركة السفن التجارية والرياح والتيارات والموانئ والجزر في الطريق إلى الهند.

وفي عام ١٥٩٤ اجتمع تسعة من تجار شمال هولندا في أمستردام لمتابعة الموضوع وقرروا تأسيس شركة اطلقوا عليها اسم (شركة الاراضي البعيدة Company of Far Land) (٢٨) وأرسلوا في عام ١٥٩٨ اسطولا تجاريا إلى جزر الهند الشرقية عبر طريق الرجاء الصالح لاحتكار تجارة التوابل في الشرق يحمل تفويضا رسميا من الحكومة الهولندية بالعمل الحربي والسياسي والتجاري.

حقق الاسطول نجاحا عظيما فقد استطاع فتح أرخبيل جزر الهند للتجارة مع هولندا بعد ان عبر رأس الرجاء الصالح وعقد اتفاقية تجارية بين هولندا وملك بانام كما حقق ارباحا مالية بلغت أكثر من ٨٠ ألف فلورين. وذلك بالرغم من فقدانه عددا كبيرا من بشارته وغرق إحدى سفنه. يعزو المؤرخون نجاح هذا الاسطول إلى خبرة ودراية قائده/ كورنيلس هوتمان Cornelis Houtman الذي سبق له زيارة الشرق عدة مرات وجمع معلومات

مهمة عن الطرق البحرية للشرق.

وتوالت رحلات الاساطيل التجارية والهولندية الى الشرق حتى انه قدر عدد السفن التجارية الهولندية التي زارت الشرق وجنوب شرق آسيا في عام ١٦٠١ بخمس وستين سفينة، سيطر الهولنديون خلالها على عدد من المستعمرات البرتغالية في أرخبيل اندونيسيا وانشأوا عددا من المستعمرات في تلك الارحاء.

وأمام هذا النجاح والتوسع الهولندي تنادى التجار الهولنديون الى اجتماع في ٢٠/٣/١٦٠٢ بتوجيه من الرئيس الهولندي/ جوهان فان أولدن بورنوفلت Johan Van Oldenbornovelt وقرر التجار توحيد مؤسساتهم تحت اسم شركة الهند الشرقية الهولندية برأس مال قدره ٦,٥ مليون فلورين، وتم دعم الشركة بمرسوم اصدره مجلس طبقات الامة يمنح بموجبه الشركة حق احتكار التجارة في الشرق وخولها سلطات واسعة في عقد المعاهدات والمحالقات والاتفاقيات لفتح ما تشاء من الاراضى وتأسيس القواعد وغير ذلك لمدة واحد وعشرين عاما. (٢٩).

واستطاع الهولنديون كسب ود الدولة العثمانية من خلال اعترافهم بتبعية اليمن للدولة العثمانية، وقامت السفينة الهولندية/ تاسو/ بقيادة بيتر فاندون بروكة بزيارة لموانئ اليمن ووصل الى مسقط. وحصل على كتاب من باشا صنعاء يأمر فيه رعاياه

باستقبال الهولنديين في كل مكان.

نجح الهولنديون بعقد معاهدة في عام ١٦٠٤ مع اميراطور ملبار الهندي تنص على طرد البرتغاليين من الهند. وفي عام ١٦١٨ أصدر السلطان العثماني فرمانا يخول الهولنديين حق مزاولة التجارة بالبحر الأحمر، لكن الهولنديين استولوا على مجموعة من السفن البرتغالية التجارية مما أثار سخط تجار عمان وجنوب الجزيرة وأدى الى قيام السلطات العثمانية بطرد المعتمدات التجارية في جنوب الجزيرة وعدم تجديد امتيازاتها (٣٠). ونجح الهولنديون ايضا في الاتفاق مع شاه فارس - الشاه عباس - على حصولهم على حصة من الحرير الفارسي. والذي لم يستطع الا الموافقة باعتبارهم ساهموا مع الانجليز في عام ١٦٢٥ بالحرب ضد البرتغاليين وفي إجبارهم على التخلي عن هرمز. فكان ذلك الاتفاق بداية لتوطيد اقدام الهولنديين في منطقة الخليج العربي. وبوفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩ خسر الانجليز صديقا ونيا لهم. في حين وطد الهولنديون اقدامهم في فارس واستطاعوا ان ينتزعوا من الانجليز حصة الاسد بتجارة الحرير. ولم يبزغ عام ١٦٤٠ حتى كان للهولنديين مركز الصدارة في الخليج العربي ويهيمنون على التجارة مع بلاد فارس. بينما كان البرتغاليون مازالوا يحاولون دون جدوى استرجاع منزلتهم التي فقدوها في الخليج (٣١).

الحملة ضد العرب:

لقد كان اندفاع القوى الاجنبية للسيطرة على الخليج العربي ذا محورين الاول فارسيا والثاني اوروبيا مع تدخل هذين المحورين ضمن دائرة واحدة يعمل الفرس على اشغالها كلية عن طريق التحالف مع اية قوة اوروبية تزحف نحو الخليج العربي للسيطرة عليه وضرب القوى العربية فيه ومن ثم الانفراد بالهيمنة على المنطقة^(٢٢).

ففي مطلع القرن السادس عشر اندفع البرتغاليون نحو البحار العربية للتحكم بها والاستيلاء على منافذ التجارة العربية بين الشرق والغرب. فكان احتلال جزيرتي هرمز وقشم ومن ثم فرض البرتغاليون سيطرتهم على موانئ الخليج العربي في كل من ساحليه. وقابل ذلك التحرك تحرك فارسي مماثل تزعمته الاسرة الصفوية التي تسلمت السلطة في بلاد فارس عام ١٥٠٠ فالتقت تطلعاتها مع الغزو البرتغالي وتوجت ذلك بمعاهدة تحالف عسكري للعمل المشترك في عام ١٥١٥. نصت على ان تكون السفن الحربية البرتغالية في متناول ايدي الفرس لشن هجوم على البحرين وعلى القطيف^(٢٣) واستمرت تلك العلاقة حتى ظهور الهولنديين والانجليز في مطلع القرن السابع عشر كقوى جديدة في المنطقة الامر الذي ادى الى متغيرات في التوجه السياسي الفارسي حيث عمل الشاه عباس الاول

(١٥٨٧ - ١٦٢٩) على استثمار الوضع الجديد للضغط على البرتغاليين كي ينسحبوا من البحرين ليكون بديلهم في احتلالها.

ومما رجح كفة الهولنديين على الانجليز طوال القرن السابع عشر تقريبا.. ان الانجليز رفضوا الاشتراك بأى عمليات عسكرية مع الفرس ضد الدولة العثمانية او ضد البرتغاليين نظرا لمصالحهم الاخرى في مناطق غير منطقة الخليج. وهذا ما سبب لهم مشاكل في فارس استغلها الهولنديون لصالحهم^(٢٤) الا ان الهولنديين عانوا بعد ذلك بعض المضايقات وخاصة بعد الاحتلال الافغاني لايران في عام ١٧٢٢ حيث وجه الافغان انذارا للهولنديين في عام ١٧٢٧ بإغلاق وكالتهم في بندر عباس خلال مدة لا تتجاوز اسبوعا^(٢٥).

وفي خضم ذلك الوفاق بين الفرس وكل من الانجليز والهولنديين على حساب عرب الخليج اقتناصا لحقوقهم الوطنية والاقليمية. واستلابا لارزاقهم ومعيشتهم وتجارتهم. كونت دولة اليعاربة اسطولا بحريا قويا - كما اشرنا سابقا - للذود عن حياض الوطن وتحرير المواقع والبلدان التي تعرضت للاحتلال البرتغالي والفارسي. وبقاومة الغزو البحري الاجنبي المعادي للموانئ والاسواق التجارية. من هنا كانت المحاولات الفارسية والهولندية والانجليزية لقهق الاسطول العربي اليعربي. الا ان هذه